الفصل الثاني: **عوامل ظهور الأدب التفاعلي**

تمهيد:

أفضت التحولات المتسارعة التي عرفتها الحياة البشرية في منتصف القرن العشرين إلى تراكمات في شتى الحقول المعرفية. وكان للتطور العلمي والتكنولوجي الذي وسم الألفية الثالثة الأثر البارز في حدوث هذه التحولات، على مستوى الإنتاج والتلقي والأدوات. وفي مقدمتها ظهور الأدب التفاعلي بوصفه نشاطا تشترك في إنتاجه مجموعة من العناصر الأدبية والفنية والتقنية وتؤدي فيه الصورة والصوت والتفاعل والترابط والتشعب وظهور القارئ الجديد أدوارا مهمة تختلف عما كان سائدا قبل الثورة الرقمية. لكن قبل الحديث عن خصائص هذا الأدب وتجلياته، يجابهنا السؤال التالي: ما هي عوامل ظهور الأدب التفاعلي؟

1. ارتباط الرقمنة بفكرة ما بعد الحداثة:

بعد انهيار البنيوية في منتصف ستينيات القرن العشرين، باعتبارها تجسيدا لفكرة الحداثة في مختلف الفنون والآداب والعمارة وغيرها، فسحت المجال لفلسفة مابعد الحداثة(التي برزت في الخمسينيات) كأحد أبرز المفاهيم الإشكالية التي اختلف المختصون في تقديم مفهوم متقارب حولها لأنها" تمثل شكلا من الاعتراض أو الافتراق عن الحداثية" ذلك أنها قامت على نقض الفلسفة الغربية وتمركزاتها. ويذكر اليامين بن تومي أنها تشير إلى وضع مركب زمني ومفهومي، بحيث تحيل إلى " وجموع الظروف والشروط المختلفة والمتعددة التي تختلط فيها المظاهر الاجتماعية بالمظاهر الثقافية، فلايمكن التمييز بين ماهو اجتماعي وما هو ثقافي، فتنهار المسافة بين النظرية وموضوعها، ويتعذر الفصل بين النظرية التأويلية والواقع الاجتماعي، الذي تحاول النظرية إدراكه وتأويله"ذلك أن فلسفة ما بعد الحداثة قامت على تحطيم المقولات المركزية الكبرى التي هيمنت على الثقافة الغربية، إذ تكشف عن "موقف متشكك بشكل جوهري لجميع المعارف البشرية، وقد أثرت على العديد من التخصصات الأكاديمية وميادين النشاط الإنساني (من علم الاجتماع إلى القانون والدراسات الثقافية).

وعليه فإن ما بعد الحداثة ليست مناقضة للحداثة وقيمها ومقولاتها بقدر ماهي "مساءلة للأسس والبديهات أو تفكيك للنظم والطبقات أو تشريح للهياكل والطبقات بل هي زحزحة للنظم الفكرية والثقافية والسياسية الراسخة ومجاوزة لخطابها السكوني والماورائي"، أي أنها لا تعرف الثبات ومن الصعوبة القبض على مفهوم دقيق لها يقوم على نموذج التشظي والتشتت والانتشار والأثر، ولعل هذا ما جعل صاحبا كتاب "دليل الناقد الأدبي" يصفانها بأنها " تشكيل مستمر لا يمكن تبريره أو

تفسيره بالإحالة على أنموذج متعال، وإنما يقبل التسيير فقط من داخله". ولعل من أسباب الغموض التي وسمت هذا التيار كمفهوم نقدي وفكري اعتمادها على المكتشفات العلمية الجديدة سواء كانت منتجات فكرية وفلسفية أو تكنولوجية؛ إذ اهتمت بالجوانب الإعلامية والثقافة البصرية والوسائط المختلفة.

2. الثورة التكنولوجية:

وذلك من خلال ما أفرزته من وسائل سهلت عمليات الاتصال والتخزين والتفاعل، خاصة مع تزايد الإنتاج الإلكتروني من حواسيب متطورة وهواتف ذكية وطابعات وشبكة الأنترنت، التي نقلت مركز الاهتمام من الكلمة إلى الصورة، أو بالأحرى جمعت بين الكلمة والصورة والصوت، أي أنها أصبحت أكثر قدرة على التأثير، وكسب عدد هائل من المتلقي، بالنظر إلى المزايا التي وفرتها، ومن ذلك:

* السرعة وسهولة النشر.
* اختصار المسافات وتوفير الجهد.
* توفر المكتبات الأدبية الرقمية.
* إتاحة الفرص أمام أكبر عدد من المتلقين باختلاف أماكن تواجدهم ومشاربهم الفكرية والثقافية والعقائدية.
* التفاعل المباشر بين الكاتب والقارئ والنص.
* قلة التكاليف مقارنة مع الكتاب الورقي.
* الإمكانية الواسعة للحفظ والتخزين.
* دمج النص بالنقود الموجهة إليه مما يمنح القراءة أبعادا تأويلية منفتحة وغير نهائية.
* اتساع مساحة حرية الممارسة الفكرية لدى الكاتب والقارئ على حد سواء.

3. العولمة:

إن العولمة باعتبارها "منظومة من المبادئ السياسية والاقتصادية، ومن المفاهيم الاجتماعية والثقافية، ومن الأنظمة الإعلامية والمعلوماتية، يراد بها إكراه العالم كله على الاندماج فيها، وتبنيها والعمل بها والعيش في إطارها"، وبغض النظر عن القيم والثقافة التي تروج لها، فإنها ساهمت في نشاط حركة التواصل العالمي، التي يعد الأدب التفاعلي أحد مظاهرها.

4. تطور الإعلاميات والصورة الرقمية:

لقد أدى التطور التكنولوجي إلى بروز الإعلاميات المعززة بالصور الرقمية إلى هيمنة هذا الميدان على الحياة بمختلف أوجهها، من خلال تنظيم المعلومات والبيانات والمعطيات، فأصبح يتصدر واجهة التلقي، بما يقدمه من كم هائل للمعلومات في ظرف وجيز، ولما له من تأثير ومن قدرة فائقة على توجيه دفة الرأي العام. ولذلك كان عاملا من عوامل ظهور الأدب التفاعلي الذي يعتمد على الحاسوب" حوسبة وترقيما وتحكما وهندسة"

5. السبرنيطيقا (CYBERNETIQUE):

مصطلح وضعه عالم الرياضيات الأمريكي نوربرت واينر Norbert Wiener (1894، 1964م) في كتابه " السبرنتيقا أو التحكم والتواصل عند الحيوان والآلة، والذي نشره سنة 1948م، وهو " علم الآلات والتحكم الذاتي، إذ يجمع بين ماهو إنساني وما هو آلي تقني، ويحيل على التحكم والتدبيروالبرمجة الآلية والتقنية"